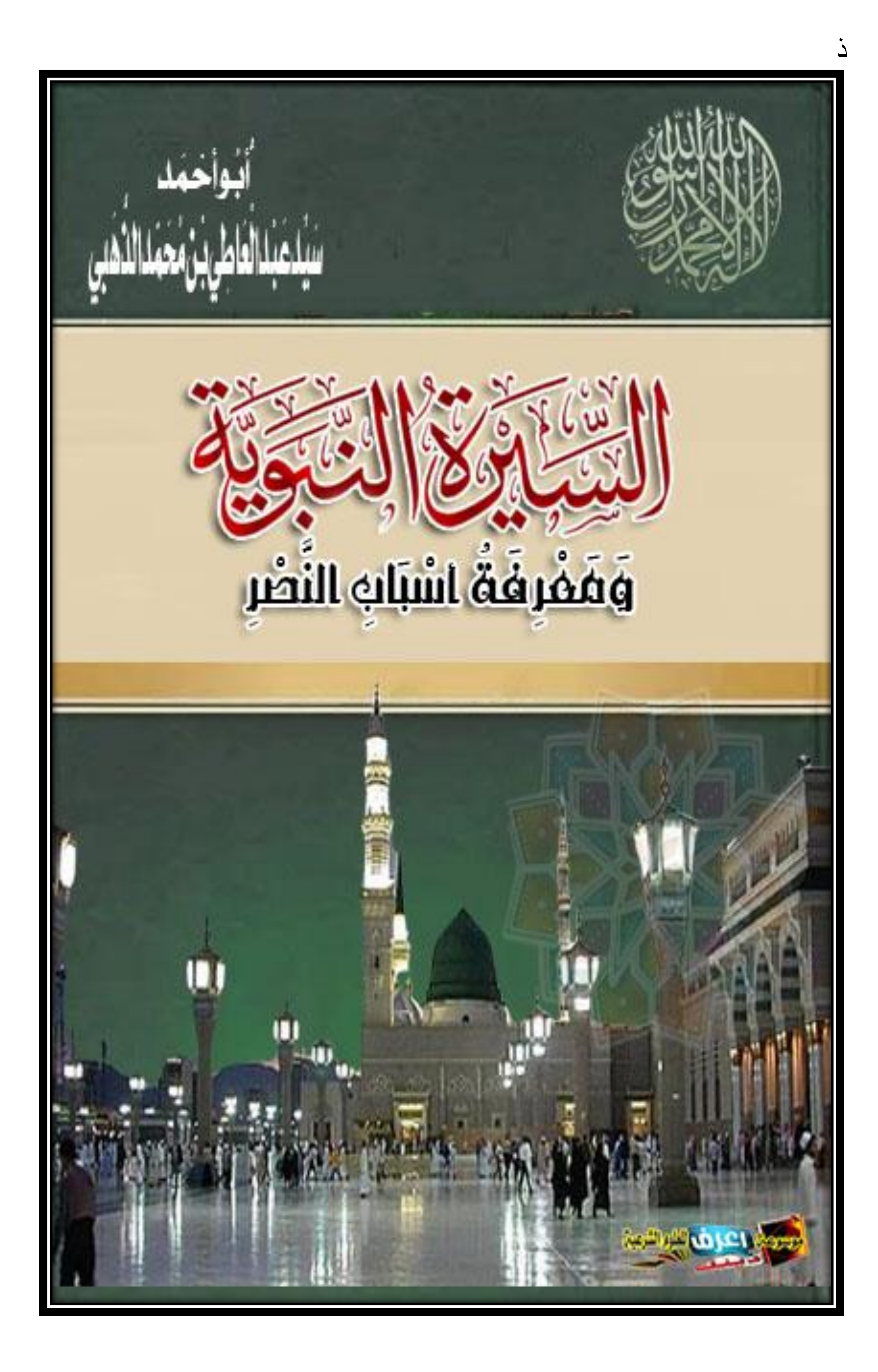
ذ


لا إله إلا الله محمد رسول الله
أبو أحمد
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي
السيرة النبوية
ومعرفة أسباب النصر



السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة

وَمَعْرِفَةُ أسْبَابِ النَّصْرِ

الشيخ

سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي



{السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةَ وَمَعْرِفَةَ أسْبَابِ النَّصْرِ}

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أمَّا بَعْدُ:

•فَمِنْ فَوَائِدِ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ أنَّهَا أعْظَمُ السُّبُلِ لِمَعْرِفَةِ أسْبَابِ النَّصْرِ وَأسْبَابِ الْهَزِيمَةِ،وَقَبْلَ بَيَانِ أسْبَابِ النَّصْرِ وَأَسْبَابِ الْهَزِيمَة لابُدَ مِنْ تَمْهِيدٍ يَتَعَلَّقُ بِاحْتِرَامِ قَانُونِ السَّبَبِيَّةِ:

فَإنَّ مَنْهَجَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ يَدْعُو إلَى احْتِرَامِ قَانُونِ السَّبَبِيَّةِ وَوُجُوبِ الْأخْذِ بِالْأسْبَابِ مَعَ عَدَمِ الاعْتِقَادِ فِيهَا ،فَالْأسْبَابُ للجَوَارِحِ ،وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِالرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا،وَللتَّدْلِيلِ عَلَى ذَلِكَ نَذْكُرُ مَا يَلِي:

-قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ الْأمِينِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} .(النِّساء:١٠٢).

-فَهُنَا الْأمْرُ بِالْأخْذِ بِالْأسْبَابِ وَضَرُورَةِ الْحَذَرِ مِنَ الْأعْدَاءِ.

-وَاحْتِرَامًا لِقَانُونِ السَّبَبِيَّةِ رَأيْنَا نَبِيَّ اللهِ يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامَ- يُوصِى أَهْلَ مِصْرَ عِنْدَمَا قَرَّرُوا أنْ يَدَّخِرُوا حُبُوبَهُمْ لأيَّامِ الْمَجَاعَةِ قَالَ:

{فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ}.

-وَمَعْنَى إبْقَائِهِ فِي سَنَابِلِهِ ألَّا يَتَعَرَّضَ للسُّوسِ وَالتَّلَفِ وَهَذَا أخْذٌ بِالْأسَبَابِ.

-وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ:{وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ}. (الأنفال:١١).

-فَكَانَ التَّطْهِيرُ بِالْمَاءِ لَا بِالْوَهْمِ، فَاحْتِرَامُ قَانُونِ السَّبَبِيَّةِ شَيءٌ مُقَرَّرٌ فِي دِينِنَا لَا خِلَاف بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ.

•وَمَعَ احْتِرَامِ قَانُونِ السَّبَبِيَّةِ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ شَأنُهُ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مَعَهُ: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} . (المزمّل:٨-٩).

-وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ للمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ آمِرًا إِيَّاهُمْ بِالصَّبْرِ وَيُجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ هَذَا الْقَوْلَ: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا، وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} .(إبراهيم:١٢).



•مَا السَّبَبُ فِي أنْ نُؤْمَرَ بِاحْتِرَامِ قَانُونِ السَّبَبِيَّةِ، ثُمَّ نُؤْمَر بِالتَّوَكُّلِ؟!

•الْجَوَابُ وَاضِحٌ جِداً، وَمَعْرُوفٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ، ذَلِكَ أنَّ الإنْسَانَ لَيْسَ مَلِكَ كُلِّ شَيءٍ فِي جِسْمِهِ، إنَّ حَرَكَةَ أمْعَائِهِ لَيْسَتْ مِلْكَ يَدِهِ، إنَّ حَرَكَةَ غُدَدِهِ لَيْسَتْ مِلْكَ يَدِهِ، إنَّ دَقَّاتِ قَلْبِهِ لَيْسَتْ مِلْكَ يَدِهِ، فَإذَا كَانَ اللهُ -جَلَّ شَأنُهُ- هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ هَذَا الْجَسَدَ، وَدَقَّاتِ قَلْبِهِ وَحرَكَاتِ رِئَتَيْهِ زَفِيراً وَشَهِيقًا، فَمَعْنَى ذَلِكَ أنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أنْ لَا يُتَمِّمَ للإنْسَانِ مَا بَدَأهُ!

وَلِذَلِكَ يَقُولُ: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} .(الأنفال:٢٤)، فَقَدْ تَعْزِمُ عَلَى شَيءٍ عَزْمًا مُؤكَّدًا، وَتَنْوِيهُ نِيَّةً مُوَثَّقَةً، وَلَكِنْ الَّذِي يَمْلِكُ دَقَّاتِ قَلْبِكَ يُوقِفُهَا! هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تَرُدَّ الْمَوْتَ يَوْمَ يَجِيءُ إِلَيْكَ؟ لَا. وَيَحْسِمُ الْمَوْتُ كُلَّ شَيءٍ.

لَيْسَ ضَرُورِيًّا أنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَرَضِكَ بِالْمَوْتِ، بَلْ يَسْتَطِيعُ أنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَرَضِكَ بِتَغْيِيرِ نِيَّتِكَ، وَمَا أكْثَرَ مَا نَلْحَظُ فِي الدُّنْيَا أنَّ الإنْسَانَ قَدْ يَكُونُ حَارًّا وَهُوَ يَبْدَأُ مَشْرُوعًا ثُمَّ يَفْتُرُ! أوْ نَاشِطًا ثُمَّ يَكْسِلُ! أوْ مُصَمِّمًا ثُمَّ تَتَرَاخَي إرَادَتُهُ، وَتَنْفَكُّ عَزِيمَتُهُ!.

•شَيءٌ آخَرُ لَا تَبْلُغُ بِهِ الْأسْبَابُ نَتَائِجَهَا إلَّا فِي حِمَايَةِ اللهِ وَرِعَايَتِهِ، إنَّ هُنَاكَ أسْبَابًا كَثِيرَةً لَيْسَتْ مِلْكَ أيْدِينَا تَقَعُ فَتُعَكِّر الأسْبَابَ الَّتِي نَمْلِكُهَا، افْرِضْ أنَّكَ خَارِجٌ مِنْ بَيْتِكَ لِتَصِلَ

إِلَى عَمَلِكَ، إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ إِنَّكَ تَضْمَنُ الْجَوَّ فَقَدْ يُمْطِرُ فَتَتَعَطَّل الْمُوَاصَلَاتُ، وَقَدْ تَمْضِي فِي طَرِيقِكَ وَفَجْأَةً يَصْطَدِمُ بِكَ شَيءٌ فَيَمْنَعُكَ مِنَ الذِّهَابِ، أَوْ يَسْقُطُ عَلَيْكَ شَيءٌ مِنْ أَعْلَى فَيُصِيبُكَ؛ يَقَعُ كَثِيراً هَذَا، وَمِنْ هَذِهِ الْمُفَارَقَاتِ وَهَذِهِ الْمُلَاحَظَاتِ وَجَبَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَجْمَعُوا كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ أَسْبَابٍ ثُمَّ يَتَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ لِكَيْ يُتَمِّمَ لَهُمْ مَا نَسَقُوا، وَيَحْفَظَ عَلَيْهِمْ مَا جَمَعُوا، وَيَبْلُغَ بِكُلِّ شَيءٍ هَدَفَهُ الَّذِي نَطْلُبُهُ لَهُ.

•وَبَعْدَ هَذَا التَّمْهِيدِ نَذْكُرُ بَعْضَ أَسْبَابِ النَّصْرِ وَبَعْضَ أَسْبَابِ الْهَزِيمَةِ:



•أَوَّلًا:أَسْبَابُ النَّصْرِ:

مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ وَسِيرَةِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ لِلنَّصْرِ أَسْبَابًا نَذْكُرُ مِنْهَا:

(١)الْإِيمَانَ الصَّادِقَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ:

-قَالَ الشَّيْخُ بِشْر بْنُ فَهْد الْبِشْر-حَفِظَهُ اللهِ-فِي مَقَالٍ بعنْوَانِ

(أَسْبَابُ النَّصْرِ وَالْهَزِيمَةِ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ):قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}فَإِذَنْ لَابُدَّ مِنْ إِيمَانٍ صَادِقٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ:

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}، وَهُنَا شَرْطٌ مُهِمٌّ:{... يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...} .(النُّور:٥٥).

ثُمَّ قَالَ فِي الآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا مُبَاشَرَةً:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.(النُّور:٥٦). فَإِذَنْ: لَابُدَّ مِنْ إِيمَانٍ صَادِقٍ، وَمِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ.



وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَتَمَثَّلُ فِيهِ هَذَا الإِيمَانُ:

(أ) عِبَادَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَة خَالِصَة لَيْسَ فِيهَا شِرْكٌ.

(ب) وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَطَاعَةُ الرَّسُولِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ، وَفِي كُلِّ مَا نَهَى عَنْهُ، فَمَا أَمَرَ بِهِ يُفْعَلُ، وَمَا نَهَى عَنْهُ يُجْتَنَبُ.

(ج) التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ، وَالاعْتِمَادُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَالاسْتِنْصَارُ بِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَدُعَاؤُهُ وَالاسْتِغَاثَةُ بِهِ: كَمَا كَانَ نَبِيُّنَا يَفْعَلُ، وَمَنْ يَقْرَأُ قِصَّةَ غَزْوَةِ بَدْرٍ يَجِدُ ذَلِكَ وَاضِحًا، حَيْثُ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:

{لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ" فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ..إلخ الحديث}.(رواه مسلم).

(د) الصَّبْرُ وَالثَّبَاتُ: سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي الْمَعْرَكَةِ، أَوْ قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ؛ صَبْرٌ عَلَى الابْتِلاءِ، صَبْرٌ عَلَى الْمِحَنِ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُمَكَّنَ لِهَذَا الدِّينِ إِلَّا بَعْدَ ابْتِلَاءَاتٍ وَمِحَنٍ، ثُمَّ إِذَا صُفِّيَ وَنُقِّيَ جَاءَ التَّمْكِينُ، وَجَاءَ النَّصْرُ، فَلَابُدَّ مِنْ صَبْرٍ وَثَبَاتٍ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا..}.(الأنفال : ٤٥).

وَكَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:{فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}.(الأنفال : ٦٦).

(هـ) ذِكْرُ اللهِ كَثِيراً:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا..}.(الأنفال : ٤٥).

إِذَا قَارَنْتَ هَذَا الأَمْرَ الإِلَهِي الَّذِي طَبَّقَهُ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ بَعْدِهِمْ، ثُمَّ قَارَنْتَهُ بِهَذَا الْعَصْرِ الَّذِي نَعِيشُهُ؛ وَجَدتَ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الْعَصْرِ يَدْخُلُونَ الْمَعْرَكَةَ، وَهُمْ يُغَنُّونَ، وَيَرْقُصُونَ؛ فتَكُون النَّتِيجَةُ هَزِيمَةً سَاحِقَةً، وَخَيبَةً مَاحِقَةً.



٢) وَمِنْ أَسبَابِ النَّصْرِ: وِحْدَةُ صَفِّ الأُمَّةِ:

أمَّا إذَا كَانَتْ مُفَرَّقَةً وَمُشَتَّتَةً، فَإنَّ النَّصرَ لَنْ يَكُونَ حَلِيفَهَا، وَلِذَلِكَ صَلَاحُ الدِّينِ الْأيُوبِيُّ- رَحِمَهُ اللهُ-لَمَّا أرَادَ أنْ يَسْتَخْلِصَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مِنْ أيْدِي الصَّلِيبِيِّينَ أوَّلَ أمْرٍ فَعَلَهُ أنْ قَامَ بِتَوْحِيدِ أقْوَى بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَهِيَ:

مِصْرَ وَالشَّامِ، فَلَمَّا وَحَّدَهَا نَهَضَ لِقِتَالِ الصَّلِيبِيِّينَ، فَوِحْدَةُ الصَّفِّ الْمُسْلِمِ سَبَبٌ مِنْ أسْبَابِ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ، وَأمَّا إذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُتَفَرِّقِينَ فَإنَّ النَّصْرَ مِنْهُمْ بَعِيدٌ.



(٣) كَذَلِكَ مِنْ أسْبَابِ النَّصْرِ: وُجُودُ الْقِيَادَةِ الْمُؤْمِنَةِ الْقَوِيَّةِ:

فَالْقِيَادَةُ الْعِلْمِيَّةُ الْقَوِيَّةُ وَقِيَادَةُ الدُّنْيَا إذَا اجْتَمَعَتَا تَحَقَّقَ النَّصْرُ وَالتَّمْكِينُ، أمَّا إذَا وُجِدَتْ الْقِيَادَةُ الْعِلْمِيَّةُ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَعَهَا قُوَّةٌ تَحْمِيهَا وَتُدَافِعُ عَنْهَا وَتُجَاهِدُ لِنَشْرِهَا فَإنَّهَا لَا تَقْوَى وَلَا تَنْتَصِرُ.

وَقَدْ بَيْنَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْحَقِيقَةَ عَلَى مَائِدَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي قِصَّةِ طَالُوتَ وَجَالُوتَ فَقَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨)فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}.(البقرة:٢٥٢:٢٤٦).

فَالْقِيَادَةُ يَنْبَغِي أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهَا قُوَّتَانِ:الْقُوَّةُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْقُوَّةُ الْبَدَنِيَّةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

فَإِذَا تَخَلَّفَتْ قُوَّةٌ مِنْ الْقُوَّتَيْنِ تَخَلَّفَ النَّصْرُ وَالتَّمْكِينُ،فَالْقُوَّةُ الْمَادِيَّةُ فَقَط تُؤدِي إِلَى الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ،وَالْقُوَّةُ الْعِلْمِيَّةُ فَقَط تُؤدِي إِلَى تَطَاوُلِ الْأَعْدَاءِ لِعَدَمِ وُجُودِ قُوَّةٍ مَادِيَّةٍ تُرْدِعُهُمْ.



(٤)وَمِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ:إِعْدَادُ الْعُدَّةِ وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}.(الأنفال : ٦٠). كُلُّ شَيْءٍ تَسْتَطِيعُونَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ، فَأَعِدُّوهُ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا مَا دُمْتُمْ تَسْتَطِيعُونَهُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُعِدُّوهُ.

{ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ } الْخَيْلُ تَدْخُلُ فِي الْقُوَّةِ، فَلِمَاذَا خَصَّهَا بِالذِّكْرِ؟ خَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِحِكْمَةٍ وَهِيَ: أَنْ نَعْتَنِيَ بِأَهَمِّ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ، فَالْخَيْلُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هِيَ أَهَمُّ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ، فَمَا دُمْنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُوجِدَ أَهَمَّ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَنِيَ بِهَا، فِي غَزْوَةِ{ بَدْرٍ }لَمْ يَكُنْ مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِلَّا فَارِسٌ وَاحِدٌ، وَقِيلَ: اثْنَانِ، وَأَكْثَرُ الْأَقْوَالِ أَنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ. وَيَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:(لَمْ يَثْبُتْ أَوْ لَمْ يَصِحّ أَنَّهُ وُجِدَ فَارِسٌ إِلَّا الْمِقْدَادُ وَحْدَهُ).

-فَهَذَا هُوَ قَدْرُ اسْتِطَاعَتِهِمْ، وَكَانَ مَعَ قُرَيْشٍ مِائَةُ فَارِسٍ، وَالْخَيْلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِثْلُ الطَّائِرَاتِ فِي زَمَانِنَا هَذَا، فَنَحْنُ مُطَالَبُونَ بِأَنْ نُعِدَّ مَا نَسْتَطِيعُ وَلَسْنَا مُطَالَبِينَ بِأَنْ نُعِدَّ مَا لَا نَسْتَطِيعُ. وَالنَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَعَدَّ أَسْبَابَ الْقُوَّةِ، وَفَعَلَ الْأَسْبَابَ الْمَوْجُودَةَ فِي عَصْرِهِ، وَالَّتِي اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْعَلَهَا، فَلَبِسَ الدِّرْعَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَحَفَرَ الْخَنْدَقَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَ السِّلَاحَ وَأَعَدَّ الْجُنُودَ،وَأَعَدَّ الْقَادَةَ وَرَبَّاهُمْ، وَأَعَدَّ الْأَمْوَالَ فَكَانَ يَعْمَلُ بِالْأَسْبَابِ الْمُمْكِنَةِ فِي عَصْرِهِ. لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الْاعْتِمَادَ لَا يَكُونُ عَلَى الْأَسْبَابِ إِنَّمَا عَلَى اللهِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ وَحْدَهُ. وَعَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ حَقِيقَةً مُهِمَّةً وَهِيَ:

أنَّهُ لَمْ يَلْتَقِ وَلَمْ يَحْصُلْ يَوْمٌ مِنَ الأيَامِ أنْ كَانَتْ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ أقْوَى مِنْ قُوَّةِ الْكَافِرِينَ، فَالْكَافِرُونَ دَائِماً هُمُ الأكْثَرُ، وَالْكَافِرُونَ دَائِماً هُمُ الأقْوَى مِنْ نَاحِيَةِ الْعُدَّةِ وَالْعَتَادِ، وَلَكِنَّ جَانِبَ الإيمَانِ يُرَجِّحُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ. وَلِذَلِكَ كَانَ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا اسْتَبْطَأَ النَّصْرَ مِنْ قَادَتِهِ كَتَبَ لَهُمْ:{إنَّا لا نُقَاتِلِ النَّاسَ بِعُدَدٍ وَلَا عُدَّةٍ إنَّمَا نُقَاتِلُهُمْ بِهَذَا الدِّينِ فَلَعَلَّكُمْ أحْدَثْتُمْ أمْراً}. يُذَكِّرْهُمْ لَعَلَّكُمْ أحْدَثْتُمْ شَيْئاً فَرَاجِعُوا أنْفُسَكُمْ، هَلْ أخْلَلْتُمْ بِشَيْءٍ مِنْ أسْبَابِ النَّصْرِ.



(٥)وَمِنْ أسْبَابِ النَّصْرِ:الثِّقَةُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالثِّقَةُ بِوَعْدِهِ:

وَأنَّهُ سُبْحَانَهُ سَيُعْلِي هَذَا الدِّينَ وَيَنْصُرُهُ وَيُمَكِّنُ لَهُ فِي الأرْضِ إنْ عَاجِلاً أوْ آجِلاً، فَإنَّ حِسَابَ الزَّمَنِ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ شَيءٌ، فَمِنَ الْمَعْلُومِ أنَّ الْيَوْمَ عِنْدَ اللهِ يُسَاوِي ألْفَ سَنَةٍ مِمَّا نُعِدُّ نَحْنُ، فَلَا نَنْظُرُ بِمِنْظَارِ الأعْمَارِ الْبَشَرِيَّةِ، بَلْ نَنْظُرْ إلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي يَنْتَصِرُ وَيَبْقَى، وَنَنْظُرُ إلَى الزَّبَدِ الَّذِي يَذْهَبُ جُفَاءً،وَأنَّ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأرْضِ قَالَ اللهُ تَعَالَى:{أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}.(الرّعد:١٧).لَابُدَّ أنْ نَكُونَ وَاثِقِينَ مِنْ أنَّ اللهَ سَيَنْصُرُ هَذَا الدِّينَ مَهْمَا ضُيِّقَ عَلَيْهِ، وَمَهْمَا حُورِبَ دُعَاتُهُ، وَمَهْمَا وُقِفَ فِي وُجُوهِهِمْ، وَمَهْمَا وُضِعَتْ فِي طَرِيقِهِمُ الْعَرَاقِيلُ؛ فَإنَّ النَّصْرَ حَلِيفَهُمْ إنْ عَاجِلاً أوْ آجِل قَالَ اللهُ تَعَالَى:

{ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ(٥١)يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} .(غافر:٥٢:٥١).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(١٧١)إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ(١٧٢)وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}.(الصّافّات:١٧٣:١٧١).

-فَالْحَقُّ يُبْتَلَى أوَّلاً، ثُمَّ يُمَكَّنُ لَهُ وَيُنْصَرُ. وَكَمْ مِنَ الدُّعَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ وَالْعُلَمَاءِ ابْتُلُوا حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا وَفَشِلَتْ دَعْوَتُهُمْ، فَإذَا بِهِمْ تَنْقَلِبُ فِي طَرِيقِهِمُ الْمِحَنُ إلَى مِنَحٍ، وَيَضَعُ اللهُ لَهُمُ الْقُبُولَ فِي الأرْضِ وَالتَّمْكِينَ وَالنَّصْرَ.



(٦)**مِنْ أهَمِّ أسْبَابِ النَّصْرِ** الَّتِي يَنْبَغِي أنْ يَعْرِفَهَا الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى لَا يُصَابُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْإِحْبَاطِ: كَوْنُ الْأُمَّةِ فِي مُسْتَوَى النَّصْرِ بِإمْكَانَاتِهَا بِقُدْرَاتِهَا بِعَزَائِمِهَا وَنِيَّاتِهَا: كَيْفَ ذَلِكَ؟ الْأُمَّةُ ـ أحْيَاناً ـ قَدْ تُحَارِبُ وَلَكِنَّهَا لَا تَكُونُ فِي مُسْتَوَى النَّصْرِ، فَيُؤَخِّرُ اللهُ النَّصْرَ قَلِيلاً حَتَّى يَرْتَفِعَ مُسْتَوَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَتُصْبِحَ قَادِرَةً عَلَى تَحَمُّلِ أعْبَاءِ النَّصْرِ الَّذِي سَيَمْنَحُهُ اللهُ إيَّاهَا إذَا جَاءَ وَقْتُهُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:{وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }.(الحجّ : ٤٠).، مَنْ هُمْ يَا رَبُّ؟

{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }.(الحجّ : ٤١).

{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ }. إذَنْ: هَا هُنَا نِيَّاتٌ وَعَزَائِمٌ فِي الْقُلُوبِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ } ؛ هَذَا مُسْتَقْبَلُ

{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ } ، رَبَّمَا يُوجَدُ مِنَ الدُّعَاةِ مَنْ لَوْ مُكِّنَ فِي الْأَرْضِ لَتَرَكَ بَعْضَ أمُورِ الدَّعْوَةِ، وَمَا أقَامَ الصَّلَاةَ وَمَا آتَى الزَّكَاةَ، أوْ رُبَّمَا يَقُومُ بِالصَّلَاةِ وَيُؤَدِّي الزَّكَاةَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَقُومُ تَمَامَ الْقِيَامِ بِالْأمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، رُبَّمَا يَتَنَازَلُ بَعْضُ الْمَحْسُوبِينَ عَلَى الدَّعْوَةِ عَنْ بَعْضِ الْأمُورِ الْمُهِمَّةِ،هَذَا لَا يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ.

أيْضًا: تَكُونُ الْأمَّةُ فِي مُسْتَوَى النَّصْرِ بِالْإمْكَانَاتِ بِالْقُدُرَاتِ، فَيَكُونُ لَدَيْهَا مَنْ يَسْتَطِيعُونَ إدَارَةَ الْبُلْدَانِ الْمُسْلِمَةِ لَوْ تَيَسَّرَ لَهَا النَّصْرُ، فَإذَا أصْبَحَتِ الْأمَّةُ فِي هَذَا الْمُسْتَوَى، وَتَوَفَّرَتْ لَهَا بَقِيَّةُ الْأسْبَابِ؛ فَإنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يَمْنَحُهَا النَّصْرَ أمْراً مُؤكَّداً لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ.



(٧)أيْضًا مِنْ أهَمِّ أسْبَابِ النَّصْرِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْأمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ:

وَهَذَانِ الْأمْرَانِ سِيَاجَانِ حَافِظَانِ لِهَذِهِ الْأمَّةِ، فَالْجِهَادُ يَحْفَظُهَا مِنَ الْخَارِجِ، وَالْأمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ يَحْفَظُهَا مِنَ الدَّاخِلِ، الْأمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ يَحْفَظُ السَّفِينَةَ مِنْ أنْ تُخْرَقَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَغْرَق، فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ

تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الشَّرِكَةِ بِرَقْمِ(٢٣٦١)مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-عَنْ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

{مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا}.



-وَالْجِهَادُ يَحْفَظُ الْأُمَّةَ مِنْ أَنْ تُسْتَذَلَّ، أَوْ أَنْ يُهِينَهَا الْعَدُوُّ، فَمَا تَرَكَ قَوْمٌ الْجِهَادَ بِضَوَابِطِهِ الشَّرْعِيَّةِ إِلَّا ذَلُّوا، قَاعِدَةٌ قَالَهَا أَسْلَافُنَا-رَحِمَهُمُ اللهُ-. وَرَضِيَ اللهُ عَنْ عَلِيٍّ إِذْ قَالَ:{مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا كُتِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ}.(انْظُر:العقد الفريد لابن عبد ربِّه:١/٤٩٤).

-الْجِهَادُ سَبَبُ الْعِزِّ، وَسَبَبُ النَّصْرِ:يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. (البقرة : ٢١٦).

عِنْدَمَا تَقْرَأُ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَاتِ لِلإِمَامِ الْقُرْطُبِيِّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- الَّذِي عَاشَ وَقْتَ سُقُوطِ الْأَنْدَلُسِ تَشْعُرُ بِالْحَسْرَةِ وَالْأَلَمِ بَيْنَ السُّطُورِ وَالْعِبَارَاتِ، يَقُولُ مَامَعْنَاهُ: { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا } وَهُوَ الْقِتَالُ وَسَفْكُ الدِّمَاءِ وَبَذْلُ الْأَمْوَالِ، {وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}: أَيْ: التَّمْكِينُ فِي الْأَرْضِ وَالْعِزُّ وَالنَّصْرُ،{ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا } وَهُوَ الرَّاحَةُ وَالْإِخْلَادُ إِلَى الْأَرْضِ وَالطُّمَأْنِينَةُ فِي الْبُيُوتِ وَالدِّيَارِ، وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ بِالْإِذْلَالِ وَانْتِهَاكِ حُرُمَاتِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ، وَاسْتِيلَاءِ الْكُفَّارِ عَلَيْكُمْ، وَاسْتِئْصَالِهِمْ لَكُمْ. ثُمَّ قَالَ عِبَارَةً مُؤْلِمَةً مُحْرِقَةً: (وَلَمَّا أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْأَنْدَلُسِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ فَأَخَذُوا دِيَارَهُمْ وَاحِدَةً بَعْدَ الْأُخْرَى بِلَادٌ وَأَيُّ بِلَادٍ).

يَعْنِي مَا أَحْسَنَهَا مِنْ بِلَادٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَرَّطَ فِيهَا أَهْلُهَا فَضَاعَتْ.

•مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَى ضَرُورَةِ اعْتِبَارِ الْحَالِ مِنْ ضَعْفٍ وَقُوَّةٍ،فَفِي فَتَرَاتِ الاسْتِضْعَافِ نُطَبِّقُ الْمِنْهَاجَ النَّبَوِيَّ فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ مِنْ خِلَالِ الصَّبْرِ وَالرِّفْقِ وَتَرْبِيَةِ الْأُمَّةِ عَلَى الْعَقِيدَةِ

الصَّحِيحَةِ وَالْمَنْهَجِ النَّبَوِيِّ الْقَوِيمِ مَعَ الْإعْدَادِ،وَفِي فَتَرَاتِ الْقُوَّةِ نُطَبِّقُ الْمِنْهَاجَ النَّبَوِيَّ فِي الْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ حَيْثُ رَفْعِ رَايَةِ الْجِهَادِ بِضَوَابِطِهِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الرَّايَةِ الْوَاضِحَةِ تَحْتَ إِمْرَةِ وُلَاةِ الْأَمْرِ،وَالْهَدَفُ نُصْرَةَ الْإِسْلَامِ وَنَشْرُهُ بَيْنَ الْآنَامِ وَرَفْع يَدِ الظُّلْمِ وَالْقَهْرِ عَنِ الْمَظْلُومِينَ وَالْمَقْهُورِينَ.

•فَاللَّهُمَّ انْصُرْ دِينَكَ وَمَنْ نَصَرَ دِينَكَ،أعِزَّ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ،وَاخْذُل الشِّرْكَ وَأهْلَهُ،لَا تَجْعَلْ للكَافِرِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ سَبِيلًا،أقِرَّ أعْيُنَنَا بِنُصْرَةِ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى أرْضِ فِلَسْطِين،وَطَهِّر الْمَسْجِدَ الْأقْصَى مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِيهِ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين.



موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية



